اسم المادة الدراسية عربي : أدب عصور متأخرة .

اسم المادة الدراسية الانكليزي :Literature of Later Ages

اسم المحاضرة : المديح والرثاء في الأغراض الشعرية التقليدية.

اسم التدريسي : أ. د. محمد عويد محمد الساير .

المستوى الدراسي : الثالث .

الدراستان : الصباحي / المسائي .

أدب العصور المتأخرة : المحاضرة الثانية .

المديح :

هو ابرز الموضوعات الشعرية واوسعها ، يعرض فيه الشعراء بكل قدراتهم الفنية مآثر الممدوحين ، وافعالهم النبيلة ، ومواقفهم الحميدة ، وقد يذكرون فيه شجاعتهم، وفروسيتهم ، وشدة بأسهم ، وقوة شكيمتهم ، إذا ما خاضوا حربا ، أو صدوا عدوان.

وقد جاء المديح في ضربين الأول : - وهو القليل - نابع من قرارة النفس ، يتصف بالصدق والإخلاص والود والتزاه والبعد عن الخضوع والخنوع . والآخر : - وهو الكثير - صادر من طرف اللسان يتسم بالكذب والمبالغة والتذلل وإراقة ماء الوجه والسؤال .

ويغلب على قصائد المديح التقليد ، ولا سيما في مقدماتها المستهلة بالغزل، او وصف الطيف ، او وصف الخمرة ، أو الطبيعة ، أو الشيب وبكاء الشباب، وقد تكون مستهلة بالحكمة ، و الشكوى من قسوة الحياة ...

والملاحظ في المقدمات الغزلية التي يتخلص منها الشاعر إلى المديح برود العاطفة، لأنها مصطنعة لا تنم على حب حقيقي صادق ، وان كان في بعضها شيء من اللطافة والرقة والعذوبة المتأتية من تمكن الشاعر بلغته الشفافة من إتيان شعر مستحب يستوقف السامع ويستأثره ويشده اليه مثل قول ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ) في مقدمة قصيدة يمدح بها الوزير العالم الطبيب أمين الدولة أبا الحسن بن غزال بن أبي سعيد :

فؤادي في محبتهم أسير ... وأنى سار ركبهم أسيرُ
يحن إلى العذيب وساكنيه ... حنيناً قد تضمنه سعيرُ
ويهوى نسمة هبت سحيراً ... بها من طيب نشرهم عبيرُ
و إني قانع بعد التداني ... بطيف من خيالهم يزورُ

وبعد ابيات اخرى في وصف المحبوب الأهيف الذي دأب على الهجر والصدود يتخلص إلى المديح بعبارات مليئة بالثناء والإطراء :

وإن اشك الزمان فإن ذخري ... امين الدولة المولى الوزيرُ
كريم اريحي ذو أياد ... تعسم كما همى الجون المطيرُ
تسامي في سماء المجد حتى ... تأثر تحت اخمصه الأثيرُ
له أمر وعدل مستمر ... به في الخلق تعتدل الأمورُ

إن هذا الشعر - وإن لم يبغ ناظمها كسباً - لم يتخلص من المبالغة في اضفاء صفة العظمة على ممدوحه ، وقد تصعد هذه المبالغة إلى درجة توحي للقارئ انها غير صادقة وتفتقر إلى الجدة و الحياة والحركة ، ومثال على ذلك، قصيدة صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠هـ) في مدح ملك مصر محمد

بـن قـلاوون التـي عـارض فيهـا قصـيدة أبـي الطيـب المتنبـي التـي يقـول فـي مطلعها :

بـــأبي ، الشـــموس الجانحـــات غواربـــا اللابســـات مـــن الحريـــر جلابيـــا

وقصيدة صفي الدين الحلي أولها :

اســبان مــن فــوق النهــود ذوائبــا فجعلـــن حبـــات القلـــوب ذوائبـــا
و جلـون مـن صـبح الوجـوه أشـعة غـــادرن فـــود الليـــل منهـــا شـــائبا

وبعد اربعة عشر بيتا من الغزل المصنوع ينتقل إلى الممدوح ويظهره في صورة فريدة ، وكأنها خيالية ؛ لكثرة ما فيها من نعوت بعيدة عن الواقع، منها قوله :

ترجـــى مواهبـــه ويُرهـــب بطشـــه مثـــل الزمـــان مســـالمة ومحاربـــا
فـــاذا ســـطا مـــلأ القلـــوب مهابـــة واذا ســـخا مـــلأ العيـــون مواهبـــا
كالليـــث يحمـــي غابـــه بزئيـــره طـــوراً و ينشـــب فـــي القنـــيص مخالبـــا
كالســـيف يبـــدي للنـــواظر منظـــراً طلقـــاً، ويمضـــي فـــي الهيـــاج مضـــاربا

ويندر أن نجد شاعر - وهو يخاطب ملكة - تخلص من نعوت التبجيل والتعظيم والتفخيم ، وكأن العطاء مرهون بمقدار ما يكيل من هذه النعوت و منوط بها ، من ذلك قول شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (ت ٨٩٤هـ) في مدح السلطان محمد بن مراد بن بايزيد بن عثمان صاحب القسطنطينية وفاتحها :

ســلطاننا البــاهر البــاهي لــه شــرف يســـمو علـــى البـــدر والجـــوزاء والنهـــبِ
محمد انـــت فخـــر القـــوم قاطبـــة ســـميت بـــدر الســـما مـــن انجـــم العـــربِ
ريـــاض مـــدحك ازهـــار مفتحـــة وصـــوت شـــعري لهـــا كالبلبـــل الطـــربِ

لقد كانت المبالغة والإفراط في النعوت سمة عامة عند الشعراء آنذاك، حتى المشهورين منهم بالاستقامة والصلاح مثل شمس الدين محمد بن عفيف الدين التلمساني المعروف بالشاب الظريف (ت ٦٨٨ هـ)، فها هو ذا يقول من قصيدة في مدح فتح الدين محمد بن محيي الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء ومؤتمن المملكة بالديار المصرية في عهد المماليك :

يجـــود حتـــى يمـــل النـــاس انعمـــه ولـــيس يدركـــه مـــن بـــذلها ملـــلُ
ســـادت وســـارت بهـــا الأفـــواه معلنـــة فقـــد غـــدت مـــثلا يغـــدو بهـــا المثـــلُ

وكـان الشـعراء يشـيدون بأريحيـة الممـدوح ، وكثـرة سـخائه ، ووفـرة عطائـه ، ويشيرون - تلميحا او تصريحا - إلى حاجتهم إلى شيء من هؤلاء .

وقد يبلغ السؤال عند بعضهم إلى حد الاستجداء المفضوح الرخيص ، والتذلل المقيت ، مثل قول الشاعر محمد بن محمد بن احمد المنصوري (ت ٨٧٨ هـ) في البيتين الآتيين:

اريـــد منـــك الآن يـــا ســـيدي ثوبـــا مليحـــة ناصـــعة فـــي البيـــاضِ
فعبـــدك الآن غـــدا عاريـــاً مـــن كـــل شـــيء فـــاقض مـــا انـــت قـــاضِ

وحظي العلماء الفضلاء بنصيب كبير من المديح ؛ لأنهم . سادة الورى ونجوم الهدى كما يقول الشيخ نجم الدين الغزي (ت ١٠٩١هـ) صاحب الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة:

إنما سادة الدوري النجباءُ ونجوم الهدى هم العلماءُ
ينقضي الدهر والمكارم منهم ابد الدهر ما لهن انقضاءُ
كيف تعفو آثارهم وهي تبدي للأناسي فضلها الأنباءُ
فهم الدائمون معنى وإن ما توا فوالله إنهم احياءُ
كن عليماً إن شئت او كن محباً إنما الحب لو فهمت ولاءُ

وقد تتناول قصائد المديح سير العلماء ومكانتهم في التصنيف ورجاحتهم في التدريس ، مثل قصيدة شهاب الدين احمد بن محمد المعروف بابن صالح (ت ٨٩١ هـ) في مدح شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب المؤلفات المفيدة يقول فيها :

إمام لأشتات البلاغة جامع يقاس بقس حين يرقي ويخطبُ
فقيه إذا رام الكتابة طالب يفيض اليه من عطاياه مطلبُ
وقد حفظ الله الحديث بحفظه فلا ضائع إلا شذى منه طيبُ
وما زال يملي الطرس من بحر صدره لآليء إذ يملي علينا ونكتبُ

واستطاب بعض الشعراء أن تكون مدائحهم على شكل موشحات ، ذات جرس موسيقي لطيف ، وايقاع محبب على السمع خفيف ، مثل موشحة شهاب الدين محمد بن يوسف التلعفري (ت ٦٧٥هـ) في مدح الأديب الشاعر شهاب الدين احمد بن عبدالملك العزازي (ت ٧١٠ هـ) ، وقد بدأها بغزل عفيف ظريف، ثم تخلص إلى المديح ، بلغة واضحة ، وأسلوب سهل ، ونذكرها هنا كاملة لجمال مبناها وطرافة معناها :

ليس يروي ما بقلبي من ظما غير برق لائح من إضمِ
إن تبدى لك بان الأجرع
وأثيلات النقا من لعلع
يا خليلي قف على الدار معي
وتأمل كم بها من مصرع
واحترز واحذر فأحداق الدمى كم اراقت في باها من دمِ
حظ قلبي في الغرام الوله
فعذولي فيه ما لي وله
حسبي الليل فما اطوله
السم يزل آخره أوله
في هوى اهيف معسول اللمى ريقه كسم قد شفي من الـمِ

سائلي عن احمد مما حوى

من خلال هسي للسداء دوا

مما سواه وهو صاح سوى

ناشر من كل فن مما انطوى

بحـــر آداب و فضـــل قـــد طمـــا فـــاخش مســـن تيـــاره الملـــتطم

العزازي الشهاب الثاقب

شكره فرض علينا واجب

فهو إذ تبلوه نعم الصاحب

سهمه في كل فن صائب

جائـــل فـــي حليـــة الفضـــل كمـــا جـــال فـــي يـــوم الـــوغى شـــهم كمـــي

شاعر ابدع في أشعاره

ومتنسى انكرت قولي باره

لو جرى مهيار في مضماره

والخوارزمي في آثاره

قلـــت عـــودا وارجعـــا مـــن انتمـــا ذا امـــرؤ القـــيس اليـــه ينتمـــي

الرثاء :

فن ادبي وجداني ، يعبر عن حزن الإنسان وتأسفه على فقيده ووصف رزئه وفجيعته به ، وهو - على كثرته - ليس بذلك الدفق و العمق الذي كنا نلمسه عند شعرائنا في العصور الزاهية السابقة ، ولا نجد فيه - الا ما ندر - تلك الفلسفية التي رأيناها في قصيدة ابي العلاء المعري المشهورة (غير مُجد في ملتي واعتقادي)..

وقبل النظر في رثاء الأحباب والأصحاب ، و المقربين من الأنساب ، وأخبار الناس، نقف عند رثاء المدن الزائلة و بكاء الدول البائدة التي توالت عليها النكبات والفجائع والمصائب، وذهب ضحيتها الآلاف ... وقد أخذت تعداد - مهد العلم والأدب ودرة الحضارة - من هذا الرثاء والبكاء قسطاً واقرأ ، فهذا شمس الدين محمد بن احمد الكوفي (ت ٦٧٥ هـ) يبكي عليها بكاء حارة ويرثيها بعدة قصائد تعبر عن صدق المعاناة تجاه هذه المدينة التي ضربتها ايدي التتر سنة ٦٥٦ للهجرة واحالتها إلى خرائب يباب ، ففي احدى هذه القصائد يذكر في مطلعها أصحابه واصدقاءه الذين ودعهم إلى غير رجعة ، وتمنى الموت بعدهم :

إن لـــم تقـــرِحّ ادمعـــي اجفـــاني مـــن بعـــد بعـــدهم فمـــا اجفـــاني
إنســـان عينـــى مـــذ تنـــاءت داركـــم مـــا راقـــة نظـــر إلـــى إنســـان

يـــا ليتنـــي قـــدمت قبـــل فـــراقكم ولســـــاعة التوديـــــع لا احيـــــاني
مـــا لـــي و للأيـــام شـــتت صـــرفها حـــــالي ، وخلانـــــي بـــــلا خـــــلان

ويتعجب الشاعر - بعد تطوافه ببغداد - من تبدل الوجوه ، وغياب الأهل والجيران ، و ما حل بها ، بعدما جالت فيها معاول الهدم وألسنة النيران :

مـــا للمنـــازل اصـــبحت لا أهلهـــا اهلـــــي ولا جيرانهـــــا جيرانـــــي
وحيـــاتكم : مـــا حلتهـــا مـــن بعـــدكم غيـــر البلـــى والهـــدم والنيـــران

ويقف مذهولا امام الدار الخربة - وهي ليست وقفة الشعراء على اطلال محبوباتهم الطاعنات - ويسألها عما أصابها ، وما نالها ودهاها ، وكيف تحولت إلى هذه الحالة المؤلمة بعد عز ورخاء، وشموخ وإباء، و قوة و بأساء:

ولقـــد قصـــدت الـــدار بعـــد رحـــيلكم ووقفـــت فيهـــا وقفـــة الحيـــران
وســـــألتها، لكـــــن بغيـــــر تكلـــــم فتكلمـــت ، لكـــن بغيـــر لســـان |
ناديتهمـــا : يـــا دار مـــا صـــنع الألـــى كـــانوا هـــم الأوطـــار فـــي الأوطـــان
أيـــــن الـــــذين عهـــــدتهم، ولعـــــزهم ذلا تخـــــر معاقـــــد التيجـــــان ؟
كـــانوا نجـــوم مـــن اهتـــدى فعلـــيهم يبكـــي الهـــدى وشـــعائر الإيمـــان

وترد الدار على سؤاله بجواب لطيف فيه عظة وعبرة وتأس وسلوة : إن أهوال الدهر وحوادثه أفنتهم مثلما أفنت صاحب الإيوان :

قالـــت : غـــدوا لمـــا تبـــدد شـــملهم وتبـــــدلوا مـــــن عـــــزهم بهـــــوان
أفنـــــتهم غيـــــر الحـــــوادث مثلمـــــا أفنـــــت قديمـــــة صـــــاحب الإيـــــوان

ولم ينصل الشاعر حديثه عن طبيعة الخراب والدمار ، وانما انشغل بوصف حزنه على فراق أحبابه، وألمه الذي أصابه بعد رحيلهم ، ولم يستطع أن يتخلص - وهو في موقف الأسى والأسف- من الصنعة اللفظية والمعنوية ، والاتكاء عليها ، ولاسيما استخدام الجناس والطباق ورد الصدر على العجز .

لقد كانت النكبة التي حلت ببغداد عظيمة، والفاجعة التي داهمتها كبيرة، والمصيبة التي وقعت على قاطنيها رهيبة أذهلت الكثيرين من الشعراء وأنطقتهم قصائد رثائية مبكية، وقد قدر لشاعر آخر أسمه تقي الدين أسماعيل بن أبي اليسر التنوخي مسند الشام (ت ٦٧٢ هـ) أن يكون في عداد الذين شهدوا النكبة و عانوا من أهوالها ، فبكاها بقصيدة طويلة ، مطلعها:

الســـائل الـــدمع عـــن بغـــداد إخبـــار فمـــا وقوفـــك ، والأحبـــاب قـــد ســـاروا؟

ولسعدي الشيرازي (ت ٦٩١ هـ) قصيدة جيدة في بضعة وتسعين بيتا باللغة العربية رثى بها الخليفة المستعصم بالله ، وبكي بدموع ساخنة على بغداد حاضرة العالم الإسلامي آنذاك، أولها:

حبســـت بجفنـــي المـــدامع لا تجـــري فلمـــا طغـــي المـــاء اســـتطال علـــى الســـكر
نســـيم صـــبا بغـــداد بعـــد خرابهـــا تمنيـــت لـــو كانـــت تمـــر علـــى قبـــري

لأن هـلاك الـنفس عنـد أولـي النهـى أحـب لـه مـن عـيش منقـبض الصـدر

إن ما قيل في رثاء بغداد كثير، وقد ألف ابو الخير سعيد بن عبد الله الدهلي (ت ٧٤٩ هـ) كتاب بعنوان (تفتيت الأكباد في واقعة بغداد).

ولم تكن بغداد المدينة الوحيدة التي ابتليت بهذه النكبة او المصيبة ، بل شاركتها مدن إسلامية أخرى في ديار الشام والمغرب العربي والأندلس، فهذا ملك حلب ثم دمشقي الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد - وكان شاعرا اديبا - يؤخذ سنة ٦٥٩ للهجرة اسيرا بيد التر مع جمع من اقاربه ورجاله وتضرب اعناقهم بالسيوف غدرة ، وقد قال الأبيات الآتية حينما رأى حلب، وهي خاوية على عروشها ، وألسنة النيران تعمل في بيوتها المهدمة :

ناشـــدتك الله يـــا هطالـــة الســـحب إلا حملـــت تحيـــاتي إلـــى حلـــب
لا عـــذر للشـــوق أن يمشـــي علـــى قـــدر مـــاذا عســـى يبلـــغ المشـــتاق فـــي الكتـــب

ثم بكى طويلا ، وقال :

يعـــز علينـــا أن نـــرى ربعكـــم يبلـــى وكانـــت بـــه آيـــات حســـنكم تتلـــى
اقلـــب طرفـــي نحـــوكم فـــي ديـــاركم فـــأكثر فيهـــا النـــوح كالنـــائح الثكلـــى
لقـــد مـــر لـــي فيهـــا أفـــانين لـــذة فمـــا كـــان اهنـــا العـــيش فيهـــا ومـــا احلـــى

و بقيت آثار النكبة التي ابتلى بها المسلمون عامة ، والعرب خاصة ، ماثلة للعيان إلى زمن طويل ، ولعل الشاعر علاء الدين علي الأوتاري (ت ٧٢٤هـ) من اكثر الشعراء تأثرة بتلك النكبة ، إذ نجد له قصيدة طويلة يبكي فيها على قومه الذين وقعوا صرعى بعدما شاهد الخراب والدمار الذين خلفه التتر في دمشق:

لـــك علـــم بمـــا جـــرى يـــا ســـهادي مـــن جفـــوني علـــى افتقـــاد رقـــادي
وحبيـــب العـــين، الســـرقاد جفاهـــا مـــذ رآهـــا خليقـــة الأنكـــادِ

والقصيدة برمتها تنم على حزن عميق ، وهي تنقل لنا صورة مؤلمة ومثيرة أولئك الناس الآمنين الذين دهاهم القتل والنهب والسلب والهتك ، والدور والقصور والمدارس والمساجد التي أصابها الهدم والحرق :

طـــرقتهم حـــوادث الـــدهر بالقتـــ ل ونهـــب الأمـــوال والأولادِ
وبنـــات محجبـــات عـــن الشـــم س تنـــاءت بهـــن ايـــدي الأعـــادي
وقصـــور مشـــيدات تقضـــت فـــي ذراهـــا الأيـــام الأعيـــادِ
وبيـــوت فيهـــا الـــتلاوة والذكـــ ر وعـــالي الحـــديث بالإســـنادِ

وهكذا بقيت الصورة المؤثرة والمثيرة عالقة في الأذهان ، تثير بين الحين والآخر الأشجان والأحزان ، وعلى مر العصور والأزمان ، تهز الشعراء كلما تذكروها وقرأوا حوادها ووقائعها.

واذا انتقلنا إلى الألوان الأخرى في فن الرثاء ، نرى رثاء العلماء والأدباء، والبكاء على رحيلهم ، والتأسف على غيابهم ، يأخذ نصيبة كبيرة من شعر الشعراء ، وهذا

دليل واضح على اهتمام الناس آنذاك ، ولا سيما الدارسين، بالعلوم والآداب ، وتعظيم القائمين عليها ، وتبجيل المنتسبين اليها ، فهذا مثلا أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) المشهور في النحو والتصريف والتفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم ، والمعروف بنظم الشعر الجيد ، يقف الشعراء إجلالا له منشدين قصائدهم في رثائه ، منهم تلميذه الوفي خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤ هـ)في قصيدته التي يقول في مطلعها:

مـــات أثيـــر الـــدين شـــيخ الـــورى فاســـــتعر البـــــارق واســـــتعبرا

وهي طويلة ، تناول فيها منزلة هذا العالم الأديب ، وخسارة الأمة بفقده وأشار إلى عدد من مؤلفاته القيمة في صنوف المعرفة المختلفة وفائدتها الكبيرة في التعليم ، منها قوله :

تفســـير (البحـــر المحـــيط) الـــذي يهـــدي إلـــى وارده الجـــوهرا
فوائـــد مـــن فضـــله جمـــة عليـــه فيهـــا نعقـــد الخنصـــرا
وكـــان ثبـــت نقلـــه حجـــة مثـــل ضـــياء الصـــبح إذ أســـفرا
ورحلـــة فـــي ســـنة المصـــطفى أصـــدق مـــن يســـمع إن خبَّـــرا

ولم تكن منازل العلماء الأعلام أدنى من منازل الحاكمين من ملوك وأمراء بل كانت تفوقها ، وتعلو عليها ، لأنهم رموز بارزة، لهم خدمة جليلة في تنوير العقول ، وتهذيب النفوس ، وتقويم المناد الفاسد من العادات والتقاليد ولذلك لا نمر بديوان شاعر إلا نجد فيه مراثى لهؤلاء العلماء ، ففي ديوان ابن نباتة المصري مثلا تسع قصائد رثائية واحدة منها في العالم البلاغي الناقد شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي (ت ٧٢٠ هـ) ، وفي ديوان ابن الوردي خمس قصائد رثائية واحدة منها في العالم المجاهد الفقيه تقي الدين احمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ... وهكذا لو تتبعنا الدواوين وأحصينا ما فيها من مراث إلى جانب المجاميع الشعرية وكتب التراجم، لتشكل لدينا سفر كبير يندر أن نجد مثله في العصور السابقة .

ولم يكن حظ الملوك كثيرة من مراثي الشعراء اذا ما قيس بمراثي العلماء ويعد الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن علي الأيوبي صاحب ، حماة من أكثر الملوك الذين يرثوا بقصائد تطفح بالحزن والأسى ، ويمكن أن نضيفه الى العلماء النابهين، إذ كان بارعة في الأدب والتاريخ والفقه والتفسير و المنطق والفلسفة، وقد وصلت إلينا مجموعة طيبة من شعره إلى جانب كتابيه «تقويم البلدان» و «المختصر في أخبار البشر ». وكان ابن نباتة المصري من أخلص شعرائه واكثرهم مدحة له ، وأوفاهم بعد وفاته ، كما يلاحظ في قصيدته الطويلة التي بكاه فيها بدموع فياضة ، وأولها:

مـــا للنـــدى لا يلبـــي صـــوت داعيـــهِ أظـــن أن ابـــن شـــاد قـــام ناعيـــه
مـــا للرجـــال قـــد اشـــتدت مذاهبـــه مـــا للزمـــان قـــد اســـودت نواحيـــه
مـــا لـــي أرى الملـــك قـــد قضـــت مواقفـــه مـــا لـــي أرى الوفـــد قـــد فاضـــت مآقيـــه

ويطيل في سرد مآثره وخدماته الجليلة ، ثم يخلد في خاتمتها إلى الحكمة والموعظة الحسنة ، ويذكر أيوب وصبره الجميل بهذا الملك الفاضل من آل أيوب :

يا آل أيوب صبرة : إن إرثكم من اسم أيوب صبر كان ينجيهِ
هي المنايا على الأقوام دائرة كل سياتيه منها دو ساقيهِ

ويلقانا شعر كثير في هذه الحقبة في رثاء الأبناء والإخوان والزوجات، وهو يفيض حزنا و يطفح ألم وحسرة ، لأنه يعبر عن قلوب مكدومة ونفوس مهدومة ، فهذا - مثلا - أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) يرثي ابنته نضار) العالمة الزاهدة الشاعرة ، بشعر كثير ، جمعه في جزء سماه (النضار في المسلاة عن نضار) ورد منه في ديوانه اثنتا عشرة قصيدة ، وهذه الكثرة تذكرنا بمراثي الشاعر المشهور أبي بكر الصنوبري في ابنته ليلى) .

لقد كانت فقيدة أبي حيان الأندلسي كما يقول :

و نضار كانت أنيسي وحبي ونضار كانت حياتي وروحي

ولحقت زوجته زمردة بابنتها نضار فبكاها كما بكى ابنته ، ورثاها أحر الرثاء ، مثل قوله وهو يرثي ابنته في قصيدة أولها:

ما لقلبي مقسم الأفكارِ وكأن قد حشي بجمرة نار
قد دهتني من الزمان خطوب ضاق عن حملها جميل اصطباري

ومنها :

كانت أنسي في وحدتي واغترابي ومنامي ويقظتي وسفاري
ونديمي في رحلتي ومقامي وزميلي في حجتي واعتماري
كنت أرجو أن تعيش وتبقى حين سقمي تدور بي وتداري
لم تكن زوجة ولكن كأم وأنا كابنها صغير الصغار

ولنسمع إلى ابن الوردي في الأبيات الآتية من قصيدة ، وهو يصور معاناة ابنته من داء عضال ، كان يؤلمها أشد الألم ويؤذيها ويقض مضجعها قبل أن تفيض روحها إلى بارئها :

فلذة الكبد التي لم نأت نثرت منظوم " دمعي دررا
كنت أبكي من تشكيها فمذ بعدت صار بكائي أكثرا
فجرى من دمع عيني ما كفى وكفي من روع بيني ما جرى

ومن شعر النساء في هذا المجال المحزن قول بوران بنت محمد بن الشحنة (ت ٩٣٨هـ) في رثاء أخيها محب الدين:

دعوا دمعي بيوم البين يجري فقد ذهب الأسى بجميل صبري
وكيف تصبري وأخي رهين بأرض الشام في ظلمات قبر

ونال الحيوان الأليف جزءا من مراثي الشعراء، لاسيما ذلك الحيوان الذي يتكئ عليه الانسان في قضاء حاجاته وتسيير أعماله ، مثل شمس الدين محمد ابن دانيال الموصلي (ت ٧١٠هـ) الذي رثي بقصيدتين إكديشه الذي مات بعد أن هزل وبلغ من العمر عتيا وأصبح عاجزة عن العمل ، يقول في مطلع احداهما:

ياعين جودي بدمع منك منسجم وابكي على فقد اكديش لنا هرمِ

ومنها :

قد كان عوني على ضعف به زمناً حتى غدا زمينة بالويل ثم عمي
فبتُ أبكي لأيام لنا سلفت لحفظ عهدي وما بالعهد من قدمِ
و الرفيق ليبكي للرفيق وقد قالوا : المعارف بين الناس كالذممِ